قراءة معاصرة في قصيدة عباسية

الدكتور نبيل محمد سلمان

كلية الاداب — جامعة بغداد

النص

قال ابو تمام يرثي محمد بن حميد الطائي (١)

كذا فليجل الخطب وليفدح الامـــر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عـــذر (٢)

توفيت الامال بعد محمـــــــد ... واصبح في شغل عن السفر السفـــر

وما كان الامال من قـــل مالـــه ... وذخـــرا لمن امس وليس له ذخـــر

وما كا يدري مجتـــدي جـود كفه ... اذا ما استهلت انـــه خلـــق العسر

الا في سبيل الله من عطلت لـــــه ... فجاج سبيل اللـــه وانثغـــر الثغر

فتى كلما فاخت عيون قبيلـــــة ... دما ضحكـــت عنه الاحاديث والذكر

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة ... تقوم مقام النصر ان فاته النصـــــر

وما مات حتى مات مضرب سيفـــه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

وـّ كان فوت الموت سهـــلا فرده ... اليه الحفاظ المـــــر والخلق الوعر

ونفس تعاف العار حتى كأنـــــه ... هو الكفـــر يوم الروع او دونه الكفر

فأثبت في مستنع المـــوت رجلـــه ... وقال لها من تحت اخمصك الحشـــر

غـــدا غدوه والحمد نســج ردائـــه ... فلم يصرف الا والحفانه الاجســـــر

تردى ثياب الموت حمـــرا فما أتى ... لها الليل الا وهي من سنـــدس خضر

كان بني نبهان يوم وفاتـــــــه ... نجوم سماء خر من بينهـــا البـــدد

يعزون عن ثـــــاد تعاز بـــه العلى ... ويبكـــي عليه الجود والبأس والشقر

وانـــي لهم صبر عليه وقد مضـــى ... الى الموت حتى استشهدا هو والصبر

فتى كان عذب الروح لا من عضاضة ... ولكن كبرا ان يقال به كبـــــر

فتى سلبته الخيل وهو حمـــى لهـــا ... وبزته نار الحرب وهو لها جمـــر

وقد كانت البيض المآثـير في الوغى ... بواتر فهي الان من بعده بشـــــر

أمن بعد طي الحادثات محمـــــدا ... يكون لاثواب النـــدى ابدا نشـــر

اذا شجرات العرف جذت اصولهـــا ... ففي أي فرع يوجد الورق النضـــر

لئن بغض الدهر اكؤون لفقـــــــده لعهدي به ممن يحب له الدهـــــــر
لئن غـــدرت في الروع ايامه بـــــه لما زالت الايام شيمتها الغـــــدر
لئن البست فيه المصيبة طـــــــي لما عريت منها تميم ولا بكـــــــر
كذلك مـــــا تنفـــك تفقد هالكـــا تاشاركنا في فقده البـــدو والحضر
سقى الغيث غيثا وادت الارض شخصه وان لم يكن فيه سحاب ولا قطـــر
وكيف احتمالـــي للسحاب صنيعـــة باسقائها قبـــــرا وفي لحده البحر
مضى طاهر الاثواب لم تبق بقعـــة غـــداة ثوئ الا اشتهت انها قبـــر
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صرف الدهر نائلـــه الغمر
عليك سلام الله وتعافا نفســـــــي رأيت الكريم الحـــر ليس له عـــمر

القراءة النقدية

الرثاء فن قديم في الشعر العربي ، وقد عرف العرب الرثاء منذ عصـــر قبل الاسلام " اذ كان النساء والرجال جميعا يندبون الموتى ، كما كانوا يقفون على قبورهم مؤبنين لهم مثنين على خصالهم وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الانسان وضعفه امام الموت ، وان ذلك مصير محتوم . (٣)

وثمة حالتان يصعب فيهما على الشاعر قول الرثاء همـــا رثـــاء الطفـــل والمرأة . وقال ابن رشيق : " ومن اشد الرثاء صعوبة على الشاعر ان يرثي طفلا او امرأة الضيف الكلام عليه فيهما ، وقلة الصفات ، الاترى ماصنعوا بابي الطيب – وهو فحل مجود اذا ذكر المحدثون – في قوله ينكر ام سيف الدولة :

صلاة الله خالقنا حنـــــوط على الوجه المكفن بالجمـــــال (٤)

فقالوا : ماله ولهذه القبور يصف جمالها ؟ ... " (٥)

أي ان الشاعر يعتمد في رثائه على مافي المرثي من صفات وخصـــال ، ولما كان الطفل والمرأة صفاتهما قليلة ، لذا فقد اصبح رثاؤهما صعبا .

وقال ابن رشيق :" وليس من عادة الشعراء ان يقدموا قبل الرثاء نسبيا كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء . وقال ابن الكلبي ... لا اعلم مرثية اولها نسيب الاقصيدة دريد بن الصمة :

أرث جدي الحبل من أم معبد بعافية واخلفت كل موعد ؟

وقد تناول ابو تمام الرثاء في شعره وولع به . وتنبه البحتري الىقضية الموت في شعر ابي تمام ، وقال كلمته المشهورة . وهي انه " مداحة نواحة " . اذ اكثر من النواح على نفسه واهل بيته ، واصحابه ورجال عصره . وتذكر كتب الاخبار ان في عائلته ضعفا كان يسرع بهم الى الموت وان اسحق الموصلي تنبأ بموته الخاطف لانه كما قال كان يتكى على نفسه وكان مما قاله الكندي الفيلسوف : هذا رجل يموت قبل حينه لانه حمل

على كيانه بالفكر ، وقيل ان الدم ظهر في عينيه من شدة التفكير ، ومن هنا تنبأ الناس بموته.[٦]

وهو نفسه كان يعاني من وطأة الموت عليه ، فنراه يقول : كل داء يرجى الدواء له الا (م) الفظيعين ، ميتة ومشيا وقال :

أتموت عندي والفرا كلاهما مالا يطاق

يتعاونان على النفو فذا الحمام وذا السياب

لو لم يكن هذا كذا ما قيل موت او فراق [٧]

وشهد موت اخ له رثاه وهو يحتضر فصور لناتصويرا بارعا مأساة الموت وهي تنزل بالانسان ، وقال : [٨]

لله مقلته والموت يكسرها كأن اجفانه سكرى من الوسن

يرد انفاسه كرها وتعطفها يد المنية عطف الريح للغصن

ياهول ما ابصرت عيني،وما سمعت اذني ، فلا ابصرت عيني ولا اذني

لم يبق من بدني جزء علمت به الا وقد حلة جزء من الحزن

كان اللحاق به اهنى واحسن بي من ان اعيش سقيم الروح والبدن

والتصوير البارع ذاته يسجله وهو يرثي ابناء له في قصيدة مطلعها [٩] .

كـــان الذي خفت ان يكونـــا انا الـى اللـــه راجعونـــا
امـــس المرجـى ابو علـــي مؤســـدا في الثـــرى يمينـا
حين استوى وانتهـى شبابـــا وحقق الـــرأي والظنونـــا
احبـت فيه وكـــان عنـــدي علـى المصيبـــات لي معينـــا
كنـت كثيـــرا به عزيـــزا وكنـــت صبا بـــه خنينـــا
دافـعت الا لمنون عنـــه والمرء لايدفـــع المنونـــا
اخر عهدي به صريعـــا تموت بالـــداء مستكينـــا
اذا شكـــا غصـــة وكربـــا لاحظ او راجـــع الا نينـــا
يريـــد في رجعـــه لسانـــا يمنعه المـــوت ان يبينـــا
يشخص طورا بناظريـــه وتارة يطبـــق الجفونـــا
قـــد قضى نحبه فامـــس في جـــدث للثرى دفينـــا

كما رثى اخا له يقال له قرم [١٠] وابنه محمدا الذي جاء موته بعد ان فقـــد بنيـه واخوته واصبح على حد قوله ، مفردا :

تتابع في عام بنـــي واخوتـــي فاصبحت ان يخلف الله مفـــردا [١١]

نعود الى مطلع القصيدة التي قالها في رثاء محمد بن حميد الطائي الذي رثاه باكثر منن قصيدة[١٢]

بدأ ابو تمام قصيدته :

كذا فيجل الخطب وليفح الامـــر

وعاب قوم عليه هذا المطلع ، وقال ابن عمار في رسالته الى ابي موسى سـليمان بن محمد النحوي في خطأ ابي تمام في شعره معلقا على هذا البيت :

" ... فافتتح قوله بأبين خطأ وانشه ، من اشارته الى معدوم واســـتعطافه غـير معلوم ، ثم خص على البكاء قبل اخباره عن الحادث الذي يلي .

وقد وقفه بعض الناس على خطئه وزله بها ، فقال له :

كان يجب ان تأتي بعظام الرجل الذي بكيته في وعاء ، فتجعله بين يديك ثم تقص على الناس خبره ، فاذا اثبت على اخره او مات اليه ثم قلت : " كذا فليجل الخطب وليفدح الامر) ... "[١٣]

وبوفاة محمد بن حميد توفيت الامال واضرب المسافرون عن سفرهم الذي كانوا قد عينوه في ذلك اليوم وفي مابعده اذ كان مالا حاضرا للفقير . وثروة للذين سيحتاجون في المستقبل حتى اذا طلب احد منه مالا اعطاه مبلغا كبيرا ينسيه ان في الدنيا فقرا .

والطرف الثاني لهذه المعادلة الثنائية (الحياة) التي تأتي بعد موت المرثي :

الا في سبيل الله من عطلت له

قال الخارزنجي معلقا على هذا البيت :" أي مات هنا موتا قام الموت مقام النصر لو انه انتصر ، وذلك انه استشهد ، والشهيد حي عند ربه ، فجعل الشهادة له نصرا اذا فاته النصر واستشهد"[١٤]

ونلحظ ان معادلة ابي تمام مستمدة من مبادىء الاسلام الحنيف وقيمه السامية وما صرحت به الاية الكريم : " ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون "[١٥] واثبت الشاعر حق المرثى ان يكون شهيدا بوساطة اعماله الجليلة ومآثره الحميدة :

فتى كلما فاضت عيون قبيلة

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة

ومامات حتى مات مضرب سيفه

وقد كان فوت الموت سهلا فرده

ونفس تعاف العار حتى كأنه

ان مسحة الحزن والالم واضحة في بناء البيت الشعري . فالمتلقي يشعر ان في كل بيت

من هذه الابيات لوعة لاتضاهيها لوعة البيت الذي يليه وان مساحة البيت الشعري قد ساعدت على استيعاب احاسيس الشاعر الى الحد الذي بدا وكأن البيت مستقلا بنفسه على الرغم من الوحدة الموضوعية للقصيدة .

والبحر الطويل ، الذي بنيت عليه القصيدة ذو مساحة شعرية واسعة ساعدت الشاعر على بث احزانه كاملة فيه . وقد احسن ابو تمام استخدامه وعبر اصدق تعبير عن حالة (الموت) .

والقافية اساسا تعتمدعلى حرف الراء المضموم ، والراء " صامت مجهور لثوى مكرر[١٦]

مخرجه ادنى الحنك ، وهو يساعد الشاعر على استخدام الالفاظ الشائعة في معجم الصوت والفراق والدنيا الاخرة :

(الحشر / الاجر / الصبر / الكبر / الجمر / البتر / النشر / الدهر / القبر / الغمر /العمر).

ثم ان السكون قبل الراء اعطت وقفا يتفق وحالة الموت التي تدور حولها القصيدة .

ونجح ابو تمام في استخدام اللون في تحقيق ثنائية المركزية (الموت : الحياة) ، كما في قوله:

تردى ثياب الموت حمرا وهي من سندس خضر

فالاحمر رمز الموت والاخضر رمز لحياة الاخرة .

قال ابو يحيى معلقا على هذا البيت : " يقول " ارتدى : كساء الموت وهي حمر لقتاله من قاتل ، فلما قتل لبس لباس الشهداء في الجنة ، وهو مانكر "[١٧]

واللون المحسوس ، كما في قوله :

كأن بني نبهان نجوم سماء خر من بينها البدد

قال ابو بكر الصولي : " ومن اعجب العجب وافظع المنكـــر ، ان قومـــا عـــابوا قولـــــه:

كأن بني نبهان

فقالوا : اراد ان يمدحه فهجاه ، كأن اهله كانوا خاملين بحياته ، فلما مات اضـــاءوا بموته ، وقالوا : كان يجب ان يقول كما قال الخريمي :

اذا قمر منهم تغمـــد او خبـــــــا بدا قمر في جانب الافق يلمع

ولا اعرف لمن صح عنه ، ونفذ في علم العلوم خاطره ، عذرا في مثل هذا القول ، ولا اعذر من يسمعه فلا يرده عليه ، اللهم الا ان يكون يريد عيـــــه ، والطعن عليه ، ولم يعرض من يذهب هذا عليه ، لعلم الشعر والكلام في معانيـــه وتمييز الفاظه ؟ ولعله ظن ان هذا العلم مما يقع لافطن الناس واذ كاهم من غـــير تعليم وتعب شديد ، ولزوم لاهله ضويل ، فكيف لابلدهم واغباهم ؟ وليس من اجابه طبعه الى فن من العلوم او فنين اجابه الى غير ذلك ....

يروى عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه – ان رجـــلا ذكر له بعض اهل الفضل فقال له : صدقت، ولكن السراج لايضيء بالنهار . فلـــم يرد – رضوان الله عليه – ان ضوء السراج ليس حالا فيه ، ولا انه زالـــت عنـــه ذاته ، ولكنه بالاضافة الى ضوء النهار لايضيء ، ولم يطعن على ضوء النـــــهار ولا على السراج ، ولكنه قال : فاضل وافضل منه ...

فاراد ابو تمام تفضيله عليهم وان كانوا افاضل ، وليـــس ضيـــاء البـــدر يذهـــب بالكواكب جملة ، ولاينقل طبعها ولكن المستضيء به ابصـــــر مـــن المســـتضيء بالكواكب ، فاذا فقد البدر استضاء بهذه وهي دونه ، فكان ابا تمام قال : ان ذهـــب البدر منهم فقد بقيت فيهم كواكب ... (١٨)

ويبدو لي ان نقادنا القدامى ، ومنهم الصولي ، لم يلتفتوا في تعليقاتهم النقدية على هذا البيت الى الحالة النفسية للشاعر ، وهو يطابق في الالوان بين الاحمر والاخضر في البيت السابق :

تردى ثياب الموت حمرا ..... خضر

ويتواصل الشاعر مع هذا التضاد ، ويغدو تضادا ذهنيا في البيت اللاحق بين النجوم الساطعة ، وبين البدر الاكثر سطوعا . ثم يرسم صورة رائعة تتجسد في استخدام الفعل " خر". وفي معاجم اللغة يقترن هذا الفعل بالسجود . ونقول (خر) لله ساجدا [١٩] .

وكأن الشاعر اراد تؤكيد موت المرثي بانه (في سبيل الله) كما اشار البيت :

الا في سبيل الله من عطلت له ....

ويعود الشاعر مرة اخرى لاضفاء صفة الشهادة على المرثي ، ويقول :

واني لهم صبر حتى استشهدا هو والصبر

كما يعود مرة اخرى يذكر خصائله :

فتى كان عذب الروح ولكن كبرا ان يقال به كبر

وحالة ابي تمام النفسية وجزعه انعكسا على البناء الشعري لهذا البيت وتركيبه اللغوي .

واشار ابو العلاء المعري الى ان الشاعر ((نصب " كبرا " على احد الوجهين ، اما ان يكون نصبه بـ" لكن " وجعل اسمها نكرة والخبر محذوف ، واما ان يكون

اضمر في " لكن " كما يضمر في " ان ولكن وكأن وليت " ونصب " كبرا " على انه مفعول له ، كأنه قال :

فتى تعذب روحه لا عن غضاضة ولكنها تعذب لتكبره على الكبر ....." (٢٠)

وفي البناء اللفظي للقصيدة نلحظ ان أبا تمام استخدم لفظ " الموت " استخداما واسعا ، وهذا الاستخدام يؤكد ان كان يعطي الناحية اللفظية في شعره اهميةخاصة تنسجم وموضوع القصيدة :

توفيت الامال بعد محمد

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة

وما مات حتى مات مضرب سيفه

وقد كان فوت الموت سهلا فرده

فاثبت في مستنقع الموت رجله

تروى ثياب الموت حمرا فما اتى

وانى لهم الى الموت حتى استشهد هو والصبر

واستخدم الفاظ مرادفة للفظ " الموت" وبنسبة قليلة ، مثل " الفقد " نحو قوله :

لئن ابغض الدهر الخؤون لفقده

كذلك ماتنفك تفقد هالكا تشاركنا في فقده البدو والحضر

و " ثوى " نحو قوله :

مضى طاهراة ثواب غداه ثوى الا اشتهت انها قبر

ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى

و " الشهادة " نحو قوله :

وانى لهم صبر الى الموت حتى استشهدا هو والصبر

كما استخدم الالفاظ المرتبطة بذكر الموت مثل " الكفن " .

نحو قولـــه :

غـــــدا غـــــدوة فلم ينصرف الا والحفانه الاجـر

و " القبر " و " اللحـد " ، نحو قولـــــــه .

وكيـــف احتمالـــــــي باسقائها قبرا وفي لحده البحـــر

مضى طاهـــر الاثواب ..... انها قبـــــر

واعطى ابو تمام لفظ " الموت " متانة وقوة عندمات استخدمه مضافا اليه لمضـاف ، لقولـــه :

وقد حكان فوت المـوت

فأثبت في مستنقع الموت

تردى ثياب المـــــوت

والاضافة عند النحاة هي اسناد كلمة الى غيرها لزيادة في المعنى تفيـد التعريف والتخصيص ، وهذا لاشك يخدم البناء الشعري ، ويشد المتلقي الى حالـة الموت .

ووكد حالة الموت هذه عبر استعمال المفعول المطلق ، كقوله :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة

وورد المفعول المطلق في هذا البيت اكثر من مرة واشار الدكتـور هـادي الحمداني الى

ان ظاهرة المفعول المطلق في شعر ابي تمام شكل من اشكال التجانس اللفظي عند الشاعر

وهو ابرز مظاهر البديع الذي اولع به ولعا لايكاد يخلو منه شعره الا في الـــنزر اليسير " (٢١) .

وكل ذلك جاء في خدمة البناء الفني للقصيدة وتجسيد حالة المـــوت فـــي نفس المتلقي ، ونجح ابو تمام في ذلك ، فلا غرابة في ما نقلته الروايـلت من ان احدهم قال في هذه القصيدة بعد ان أنشدها له ابو تمام : " لم يمت من رثي بهذا الشعر " .(٢٢)

المصادر والمراجـــع

- القران الكريم
- اخبار ابي تمام ، لابي بكر محمد بن يحي الصولي ، تحقيق خليل محمـــود عساكر ومحمد عبدة عزام ونظير الاسلام هندي ، مطبعـــة لجنـــة التـــأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م .
- الاغاني ، لابي فرج علي بن الحسين الاصفهاني ، طبعة دار الكتب .
- ديوان ابي تمام ، تقديم عبدالحميد يونس وعبدالفتاح مصطفى ، مكتبـة محمد علي صبيح واولاده ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٤٢ .
- ديوان ابي الطيب المتنبي ، بشرح ابي البقاء المكبري المسمى بالتبيات فـــي شرح الديوان، خبطه وصححه مصطفى السقا ورفيقاه ، ط٢ ، ١٩٥٦ .
- ديوان دريد بن الصمة الجشمي ، قدتم له الدكتور شـــاكر الفحـــام ، جمـــع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي ، دار قتيبة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- الرثاء ، الدكتور شوقي حنيف ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٥٥ ،
- شرح الصولي لديوان ابي تمام - دراسة وتحقيق : د. خلف رشيد نعمان ج٢ ،ط ١٩٨٢٢ ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، بغداد .
- ظاهرة المفعول المطلق عند ابي تمام ، الدكتور هادي الحمداني ، مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد ، المجلد الاول ، ٤ :٢١ ، ١٩٧٧ .
- علم اللغة : مقدمة القارىء العربـــي ، الدكتـــور محمـــود الســـعران ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢
- العمدة في محاسن لشعر وآدابه ونقده ، ابوعلي الحن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الجبل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢ .
- الكامل في التاريخ ، لعز الدين ابي الحسن المعروف بابن الاثير ، مطبعة دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م .
- لسان العرب ، ابن منظور .
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، لابي عبدالله محمـــد بـــن عمـــران المرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

- هبة الايام فيما يتعلق بابي تمام ، للبديعي ، مطبعة دار العلوم ، القـــاهرة ، ١٩٣٤ .

الهوامش

(١) الديوان : ٢٩١/٣

(٢) قال ابو العلاء : " قوله " فليجل الخطب : يجوز بكر اللام وفتحها والكر اواجود ". (ينظر : الديوان : ٢٩٤/٣ – الهامش).

(٣) الرثاء ، د. شوقي ضيف : ٧

(٤) ديوان ابي الطيب المتبني ، شرح ابي البقاء العكبري : ١٢/٣ .

(٥) العمدة : ١٥٤/٢ –١٥٥

(٦) ينظر :هبة الايام فيما يتعلق بابي تمام : ٤٠ ، الموضح : ٥٢

(٧) الديوان : ٤٥٢/٣

(٨) ديوان ابي تمام ، عبدالحميد يونس وعبدالفتاح مصطفى : ٣٣٧-٣٣٨ . وردت هذه القصيدة في شرح التبريزي : ١٤٦/٤. ولم ترد في شرحا الصولي

(٩) الديوان : ٣٦٢/٣ .

(١٠) ينظر : الديوان : ٢٧١/٣

(١١) الديوان : ٢٧٤/٣ .

(١٢) ينظر الديوان : ٣١٩/٣ . ٣٢١ ، ٣٥٤ .

(١٣) [١] قال ابو بكر الصولي : " حدثني احمد بن موسى ، قال : اخبرني ابو القمر الانصاري عن عمر بن ابي قطيفة :قال : رايت ابا تمام في النوم فقلت له : لم ابتدأت بقولك : " كذا فليجل الخطب وليفدح الامر " . فقال لي : ترك الناس بيتا قبل هذا ، انما قلت :-

حرام لعين ان نجف لها شفر وان تطعم التغميض

ما امتع الدهركـــــذا فليجـــل ... (ينظر : اخبار ابي تمام : ٢٦٤ ، ٢٦٥) وعلق الدكتور خلف رشيد نعمان ، محقق شرح الصولي لديوان ابي تمام على هذا الخبر وقال : " يبدوا ان الحملة التي قامت على ابي تمام بسبب ابتداء قصيدته بهذا البيت ، دعت انصاره الى

انتحال هذا البيت ووضعه للرد عليهم " . (ينظر : الديوان : ٣/٢٩١ – الحاشية) .

(١٤) الديوان : ٣/٢٩٥ – الحاشية .

(١٥) ال عمران : ١٦٩ .

(١٦) علم اللغة ، الدكتور محمود السعران : ١٨٧ .

(١٧) الديوان : ٣/٢٩٧ – الحاشية .

(١٨) اخبار ابي تمام : ١٢٥ .

(١٩) ينظر : لسان العرب : نمادة (خر) .

(٢٠) الديوان : ٣/٣٠٢ – الحاشية .

(٢١) ظاهرة المفعول المطلق عند ابي تمام ، مجلة كلية الاداب ، العدد ٢١ ١٩٧٧: ٢٠٢.

(٢٢) ينظر في الاغاني : " بعد ان فرغ ابو تمام من انشاد قصيته في ابي دلف العجلي " على مثلها من اربع وملاعب " ، قال له ابو دلف : انشدني قولك في محمد بن حميد (كذا فليجل الخطب وليفدح الامر).. فانشده القصيدة فقال : والله وددت انها في ، فقال ابو تمام : بل افدى الامير بنفسي واهلي ، واكون المقدم . فقال : بل انه لم يمت من رثي بهذا الشعر " . (ينظر : الاغاني : ١٥/٩٩-١٠٠) .

وروى ابن الاثير في اخبار عام (٢١٤هـ) الحادثة التي اشمقت الخلود في قصيدة ابي تمام (كذا فليجل الخطب) ، قال : " .. كن رجال بابك بين الصخور ، فلما صار رجال محمد بن حميد الطوسي يصعدون في الجبل ، وصاروا على مقدار ثلاثة فراسخ ، انحدر بابك اليهم فيمن معه فانهزم الناس . فأمرهم ابو سعيدالثغري ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ، ومروا على وجوههم ، والقتل ياخذهم وصبر محمد بن حميد مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد . وسارا يطلبان الخلاص فرأى محمد جماعة وفتاة ،

فقصدهم فرأى الحزميه يقاتلون طائفة من اصحابه. فلما رأه الحزمية قصدوه لما رأوا عليه من حسن هيئته ، فقاتلهم وضربوا سيفه ثم اكبوا عليه فقتلوه" .

(ينظر : الكامل في التاريخ : ٦/١٦٨ -١٦٩)